الاستراتيجية العسكرية لحملة الأمير عبد القادرعلى مدينة عين ماضي وموقف أولاد نايل 12 جوان 1838.

The Military strategy of the campaign of Emir Abdelkader on the city of Ain Madi and the position of Ouled Naïl, June 12, 1838.

د. بن عمار مصطفى *

جامعة زيان عاشور الجلفة

benammar05mustapha@gmail.com

بوزيدي عمر

جامعة زيان عاشور الجلفة

amrbouzidi7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/24 تاريخ القبول 2022/09/25 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

يعالج المقال حلقة من حلقات مقاومة الأمير عبد القادر في مرحلة حساسة جدا تداخل فيها توسع الاستعمار الفرنسي في مناطق مختلفة من الوطن مع ضعف المقاومة المحلية وتفرقها وعدم مواكبتها ومكافئتها للجيوش الفرنسية حديثة التسليح. بكما يناقش احدى العقبات التي واجهت الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي ، وهي تمرد العديد من القبائل ضده وعلى وجه الخصوص بني عرّاش والتجانيين في مدينة عين ماضي بالأغواط في الجنوب الجزائري ويبرز المقال تفاصيل هذه العلاقة.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر ، المقاومة الشعبية ، بني عراش ، عين ماضي ، التيجانية.

Abstract:

The article deals with one of the episodes of the resistance of Emir Abdelkader at a very sensitive stage in which the expansion of French colonialism in different regions of the country overlapped with the weakness and division of

* المؤلف المراسل

the local resistance and its failure to keep pace and reward the newly armed French armies. It also discusses one of the obstacles that Emir Abdelkader faced against French colonialism, which is the rebellion of many tribes against him, in particular Bani Arrash and the Tijaniyin in the city of Ain Madi in Laghouat in the south of Algeria. The article highlights the details of this relationship.

key words: Emir Abdelkader, Popular Resistance, Bani Arash, Ain Madi, Tijaniyah.

مقـــدمة :

انّ الدارس والمتتبع لتاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر يلاحظ جليا أنّه كان حافلا بالأحداث التاريخية وأنّ هذه الفترة كانت حبلى بالمقاومات التي تفنّن فيها الجزائريون ببسالة وشجاعة. اذ وقعت الجزائر فريسة لحملات أوروبية شرسة أواخر الحكم العثماني.

وقد تعرضت الجزائر لضغط دبلوماسي وتهديد عسكري شديدان فمن أمثلة ذلك طرح قضية الجهاد البحري على أنّها قرصنة في مؤتمري فيينا 1815 بالنمسا واكس لاشابيل (Aix-la Chapelle) 1818 بألمانيا ،وقيام الدول الأوروبية بحملات عسكرية بحرية متكررة لعل أبرزها حملة اكس ماوث(Exmouth) والحملة الانجليزية

وقد أفرز وولّد هذا التحالف العسكري تنافس الدول الأوروبية على احتلال الجزائر،بحيث استطاعت فرنسا اقناع الدول الأوروبية بقدرتها وأحقيّتها في السيطرة عليها وتجنيبها خطر القرصنة البحرية، فتفرّدت باحتلالها للجزائربعد حصار طويل قارب الثلاث سنوات.

ولم تلبث فرنسا من احتلالها للجزائر حتى شرعت في تبني جملة من السياسات والممارسات أرادت من خلالها احكام قبضتها وفرض سلطتها على الجزائر،وقد حمل قادة الحملة والجيش الفرنسي على عاتقهم مهمة تجسيد هذه السياسات اذ تفننوا في التقتيل والتمثيل بالجزائريين، وبالغوا في سياستي السلب والنهب وغذى طموحهم الجشع والطمع

ورغم المقاومة الباسلة التي أبداها وأبلاها الجزائريون.الاّ أنّها لم تكن في المستوى المأمول نتيجة عوامل مختلفة ، تصدّرها غياب التنسيق فيم بينها وتفرقها،واستمرتوسع الاستعمار واستمرت معه حركة المقاومة الى أن بويع عبد القادرأميرا وبرزت مقاومته .

الأميرعبد القادر هذه الشخصية الوطنية اللامعة التي أسالت الكثير من الحبر بشكل مطنب ومسهب، وتضمنتها متون الكتب التاريخية والكتابات الأكاديمية الجزائرية والغربية والعربية، وتصدر اسمه عناوين الصحف والمجلات كشخصية وطنية ذات قيم تحررية و بعد عربي اسلامي وانساني.

انّ الأمير عبد القادر الذي ظهر كقائد وشاعر ورجل دين استطاع أن يلم شتات القبائل المتناحرة ويوحّد لواء المقاومة بفضل دهائه وحنكته وخبرته ،حيث أرغم قادة الجيوش الفرنسية على التراجع والاعتراف بدولته في معاهدتي التافنة ودي ميشال .

وممّا يلاحظ أنّ الأمير كان يحارب على جبهتين ،فالجيوش الفرنسية من جهة والقبائل الجزائرية المتمردة عن سلطته من جهة أخرى والموالية بدورها لفرنسا واستطاع بفضل دهائه أن يستغل معاهدة التافنة مع الفرنسيين للتفرغ لتأديب هذه القبائل الرافضة للانضواء تحت حكمه ولعلّ أبرزها " قبائل بني عرّاش" التي انقادت لحكم التجانيين بعين ماضي بالجنوب الجزائري.فعمل الأميرعلى التحضيرلحملة عسكرية للقضاء على هذه القبائل والاستيلاء على مدينة عين ماضي.

ولدراسة هذا الموضوع نقترح الاشكالية التالية:

. ماهي ظروف ودوافع حملة الأمير العسكرية على مدينة عين ماضي.؟

كيف كانت تحضيراته للحملة العسكرية.؟

ماهي الخطة العسكرية التي تبناها الأمير لفتح المدينة.؟

ما هو موقف قبائل أولاد نايل من هذه الحملة.؟

الى أي مدى نجح الأمير في حملته العسكرية. ؟ وماهي النتائج المتمخضة عنها؟

1-دراسة جغرافية لمنطقة عين ماضي :

تعتبر عين ماضي عبارة عن واحة صحراوية تقع مابين الأغواط و ناحية عين ماضي ، تبعد300 كلم جنوبي شرقي وهران ، صمّم حصنها الدائري " بن يقرب " أيام العبيديين [1] و عرفت عين ماضي بحصنها الموجود على سفح جبل العمور وتبعد ب 18 كلم عن مدينة الأغواط ، فبناها محمد التجاني في القرن 17 م و بها الزاوية التيجانية [2].

وتسكن منطقة عين ماضي عشر قبائل تعرف ببني عرّاش هذه الأخير ظلت بمعزل عن حروب الأمير عبد القادر و مستقلة سياسيا عنه ، عدد منازلهم 400 منزل شيدت في وسطها دار كبيرة و أحيطت بسور أنشأ عليه 37 مركز مراقبة بناه رجل تونسي اسمه محمود ، اذ رفع ارتفاعه من 06 الى 15 متر و عرضه متران في الأسفل حتى 80 سنتيم في قسمه الأعلى .وزرعت على جوانبه حوانيت الحبوب و غرست البساتين العديدة التي تعتبر منطقة دفاع مهمة .

أما العين التي استمد المدينة منها فكانت مصدر الماء الوحيد للسكان بالاضافة الى خمس آبار حفرت على كافة جهاتها [3] ، و كانت هذه العين تدفع ماءها الرائق نحو القصبة بواسطة قناة خاصة [4].

2 – جذور الصراع بين العثمانيين و التيجانيين على عين ماضي :

تعود جذورالصراع بين العثمانيين و التيجانيين منذ تأسيس الطريقة التيجانية 1782 و الذي شكّلته تلك الحملات التي خاضها العثمانيون على عين ماضي التي كانت المركز الرئيسي للطريقة [5]، فأول حملة ضد الطريقة قادها الباي أحمد محمد الكبير سنة 1784 ، حيث كان يطمح من خلالها الى تشديد الحصار على عين ماضي و الحد من نشاط التيجاني.وفي سنة 1785 شنّ صالح باي قسنطينة حملة أخرى على عين ماضي.

و في سنة 1787 قام عثمان باي بن محمد الكبير بشن حملة أخرى على عين ماضي و بسبب هذه الضغوطات التي مارسها العثمانيون هاجر الشيخ أحمد التيجاني الى فاس سنة 1798 لكي ينأى بطريقته و يحافظ عليها من الزوال ، حيث كان حريصا على تقوية طريقته بوطنه ، و ذلك من خلال توصية صاحبه الشيخ الحاج علي التماسيني باعادة ابنيه الى عين ماضي ، وعيا منه بضرورة اعادة الطريقة الى موطنها الأصلي [6].

اغتنم الباي " حسن بن موسى " فرصة عودة الحاج علي التماسيني بولدي الشيخ أحمد التيجاني : محمد الكبير و محمد الصغير ، فاستنجد " بالتجاجنة " أعداء أبيهما و ذلك انتقاما لاخراجهم سابقا من عين ماضي جبل عمور . فنظم الباي الحملة ضد التيجانيين عام 1820 .

بعد محاصرة الباي لعين ماضي ، و تطبيقا لوصية الشيخ أحمد التيجاني بعدم مواجهة البايات و اعطائهم مايقدرون عليهم من المال ، عرض عليه التيجانيون 100000 ريال (يعادل 0,93 فرنك) مقابل رفع الحصار فقبل عرضهم ، و بمجرد استلام الأموال قام بقنبلة المدينة بالمدافع لمدة 36 ساعة .

وممّا زاد من حدة القطيعة بين التيجانيين والعثمانيين عندما ذهب محمد الكبيرالتيجاني من عين ماضي الى الحج ، فحاول العثمانيون القبض عليه لكنهم لم يفلحو ورأى محمد الكبير أن الحل الوحيد للحفاظ على الطريقة هو الدخول في صدام مع العثمانيين فقام بمواجهتهم في ناحية معسكر [7] ، حيث يذكر الشريف الزهار : " ... **فثبت هو و ثبت من معه من الأعراب ثباتنا لم**

يثبته أحد ، و قاتلوا قتالا شديد الى أن قتلوا عن آخرهم ، فقطعوا رؤوسهم و فرّقوها عن المدن لكي يعتبر الناس ، و بعثوا برأس الحاج محمد ولد التيجاني ومن معه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر ، فجعل رأس ولد التيجاني في عمود وصلبوه قبالة الباب الجديد ، و علّقوا الرؤوس الأخرى حوله ، فبعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله "[8]

و نتيجة الانتصار الذي حققه حسن بن موسى باي وهران تراجع نفوذ الطريقة التيجانية و اضطر أخ محمد الكبير التيجاني الى تجنب الاصطدام مع العثمانيين و تسلّم قيادة الطريقة التيجانية بعين ماضي وظلت المدينة حصنا عصيا على العثمانيين [9].

3-ظروف ودوافع حملة الأمير عبد القادرعلى مدينة عين ماضي :

بعد انتهاء الأمير عبد القادر من اخضاع القبائل المتمردة في الغرب الجزائري و تأديبه لها تفرّغ للقضاء على تمرد قبائل "بني عرّاش" المكوّنة من عشر قبائل تميزت هذه القبائل بقوتها و كثرة عددها ، و قد حاول الأمير عبد القادر الاستنجاد بهذه القبائل لامداده بالفرسان ولكن بلا جدوى .

وقد تزعم هذه القبائل المرابط الحاج محمد بن سالم التيجيني[10] الذي كان رافضا لسلطة الأمير عبد القادر على المناطق الخاضعة له و كان أيضا رافضا للرد على رسائل الأمير التحذيرية و طلبات المساعدة التي تلقاها من وكيله في المنطقة ، حيث كان يعتقد أنّه في منعة في حصنه بعين ماضي [11].

وممّا يلاحظ أنّ الأمير عبد القادر قبل قيامه بالحملة على عين ماضي قام بعدة ترتيبات ، حيث قام بنفي القولوغلي (الكراغلة) من المدية الى تاقدمت ، ثم وضع أساسا لحصنه في تازة ، و قام بالانتقال من بوخرشوفة قرب مليانة الى تاقدمت التي اعتبرها من أهم منشآته ومراكزه العسكرية.

وممّا تجدر الاشارة اليه أنّ المناوشات بين الأمير عبد القادر و التيجني كانت قد بدأت قبل الحملة ، بحيث قبضت قواته على عناصر تابعة للتيجني كانت ترعى في سهول ثنية الأحد التي تبعد 50 كلم جنوبي غربي مليانة ، فاحتجّ التيجني على هذا الاجراء و طلب اطلاق سراح رجاله وارسالهم الى حصنه . لكن احتجاجه و طلبه هذا قوبلا بالرفض من طرف الأمير[12].

وقد قام الأمير عبد القادر بالاعداد لهذه الحملة بعد اطلاعه على الاتصالات التي كانت قد حدثت بين التجانيين و الفرنسسين ، وتبيّن له بعد حصول مخابراته على أحد رسائل التيجاني مكتوبة بخط يديه الى الحاكم العام الفرنسي " المارشال فاليه"[13]يقول فيها : (أشغل أنت الأمير من جهة البحر و أنا سأشغله من جهة الصحراء) ، و كاتب التجاني أيضا أهل الأغواط و ادعى أنه

خليفة الله في أرضه ، و بهذه الممارسات خاب ظن الأميرفيه اذ كان يعتقد أنه من المرابطين و أعيان الوطن .

كما اعتقد التجاني أنّ الأمير سيفشل لا محالة في حربه ضد فرنسا و أنّه لن يجن منه شيئا حتى و لو نجح . لأن منطقة التل تقع بين أيدي طرق صوفية أخرى أقدم من الطريقة التجانية و أكثر تجذرا بين السكان لذلك رفض الانضمام اليه رسميا ، يضاف الى هذه الدوافع استغلال الأمير لمعاهدة التافنة30 ماي 1837 و هدنته مع الفرنسيين للتفرغ لحملته على عين ماضي [14] .

و لما كان الأمير عبد القادر متواجدا في المدية قدم اليه أحد أعيان الأغواط و المسمى الحاج عيسى برفقة عدد من رؤساء بني عرّاش لكي يقدم اليه الهدايا و خيول الطاعة و أعلن الحاج عيسى أنه نظرا للتأثير الذي يملكه على معظم تلك القبائل فان أغلبهم يرغبون في الاعتراف بالأمير عبد القادر سلطانا عليهم و أنّ عليه فقط أن يظهر نفسه بينهم لكي يستقبلوه بحفاوة ولم يسع الأمير الاّ أن يفتخر بهذا الاعتراف الذي اعتبره شهادة على مابلغ اليه اسمه من تأثير في المنطقة[15] .

وقد قام الأمير عبد القادر بتعيين الحاج عيسى خليفة له على الأغواط و أعطاه منشورات لتوزيعها على بني عرّاش دعاهم فيها الى طاعة خليفته ثم ودعه مطمئنا اياه بأنه سيأتي شخصيا لقبول عروض الطاعة .

4 – انطـلاق حملة الأمير و تجهيزاتها :

انطلقت حملة الأمير من تاقدمت [16] في 12 جوان 1838 متجها بقواته الى عين ماضي و استغرقت هذه الحملة 10 أيام من السير الشاق في الوديان و الرمال مجتازا مسافة 240 كلم ، حيث مرّ بالمناطق التالية :(عين البرانص ، عين الزيادة من أراضي الهرار ، مرابط سيدي سعيد ، منزل العطش و سيدي بوزيد في جبال العمور ، وولاد البيضة) [17] .

ومن أبرز قادة الحملة قائد سلاح مدفعية الأمير وايزيدور(ISIDORE) المسمى بابن الكسكسة و المعروف " بحسن " و قد تشكلت قوات الطرفين من مما يلي :[18]

جيش الأمير عبد القادر		جيـــش التيـــجاني
الوحـدات	الأسلـحة	

. 4 آلاف فارس . 1400 من المشاة النظامين . 40 من قولوغلي تلمسان . 300 من حرسه الخاص	. مدافع هاون : 6 . مدافع ميدان : 2 . وحدة النار لكل مدفع : 80 طلقة . خدم هذه المدافع سدنة وضعت تحت اشراف قائد سلاح مدفعية الأمير : "محمد الولد بن الكسكسة "	**قـوات من القبائل :** . عين ماضي : 140 . أولاد سرحان : 166 . تاغدمت : 25 . الريّاشة : 17 . تسلويلا : 20 . سيدي بوزيد : 22 . مجموع قواته المدافعة عن حصنه : 59 مقاتلا

5– الدور الدبلوماسي لليون روش في الوساطة بين الأمير عبد القادر و التيجاني :

كان حضور الأمير المفاجئ قد أدهش التيجني الذي لم يكن مستعدا لمواجهة الحصار و الذي لم يكن لديه الوقت حتى لغلق أبواب المدينة و تنظيم 600 من جنده الذين كانوا في تلك اللحظة داخل السور.

حاول التيجني بعض الوقت أن يدافع على البساتين بمناوشات أثناء الليل و استطاع لمعرفته بالمواقع أن يعرقل تقدم قوات الأمير و جيوشه ، و لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، فقد طوقتهم جيوش الأمير و جعلتهم محصورين داخل أسوارهم[19] .

ولما علم بأنّ الأمير قام بانتداب ليون روش Léon Roches[20] المعروف بعمر للتفاوض معه بشروط محدّدة ، استفاد من هذه الفرصة السانحة ورحب بالرسول في قصره بتاريخ 24 جوان1830[21]، وقد كان برفقة ليون روش 20 فارسا و أبلغ التيجاني أن الأمير لا يريد من هذه الحملة الاّ جمع كلمة المسلمين و اعدادهم للجهاد في سبيل الدين الاسلامي ، ويظهر أنّ روش هو الذي طلب من الأمير تكليفه بهذه المهمة كي يبرهن له عن صدق ايمانه .

والظاهر أنّ روش قد قبل بهذه المهمة لعلمه بولاء التيجاني للفرنسيين خاصة بعدما اطّلع على الرسائل التى وجهها التيجاني الى " المارشال فاليه " و التى وقعت في يد الأمير ، و لذلك ألحّ روش

على الأمير في ايفاده للتيجاني و في نيته أنّ هذا الأخير سوف لن يؤذه خاصة اذا ما عرف أنه فرنسي و بذلك يكون روش قد كسب ثقة الطرفين .

و عوض أن يؤدي روش مهمته في الوساطة و تحسين الوضع بين الطرفين عمل على تحريض هذا الأخير ضد الأمير و قال له أن حصانة صوره ستكون قوة رهيبة في وجه الأمير ، وستكون له حاجزا صعب المنال . و في نفس الوقت خوّفه و حذّره من مواقف الأمير الصلبة ، وأنّه سوف يحاصر المركز ولو لمدة 10 سنوات ، و بذلك زاد من عزيمة و اصرار التيجاني على مقاومة الأمير ولم يذكر روش للتيجاني أنّ الأمير لا يريد الاستيلاء على مركزه و انّما هدفه الوحيد هوجمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار، و بلغ بذلك هدفه الأسمى وهو اضعاف قوة المسلمين وتشتيت رأيهم[22] .

وفي نهاية اللقاء لم يتوصل الطرفان الى توقيع أي اتفاق يحل خلافاتهما فقد رفض التيجاني جميع مطالب الأمير الذي أصر على نيلها ، وهي السماح له و لجيشه بالصلاة في مسجد المدينة و تحصيل الضرائب من كافة سكانها للمساهمة في بناء دولته[23].

6- خطة الأمير عبد القادر لاقتحام المدينة :

بعد فشل المفاوضات في الحصول على حل يرضي الطرفين ورفض التيجاني تسليم المدينة بالطرق السلمية بدأ الأمير عبد القادر يحضّر لاقتحام المدينة في 1 جوان فقسّم جيشه الى أربع فرق قتالية أوكل الى ثلاث منها محاصرة السور، بينما أبقى الرابعة بامرأته لاحتلال البساتين ودخول عين ماضي.

و في صباح اليوم التالي حاول رماة الأمير و لمدة ثلاث أيام السيطرة على مواقع التيجاني المتقدّمة لكنهم لم يفلحو في ذلك ، و عند بزوغ فجر اليوم الرابع أمر الأمير بقطع أشجار البساتين لتسهيل المراقبة و وضع المدافع في أماكنها لقصف المنازل الموجودة داخل سور المدينة [24] .

وأعلن المهندس الأوروبي ابن الكسكسه الذي كان يقود الحملة أنّه يمكن التوغل الى الداخل من الثغرات التى أحدثت في السور و أجريت عملية احصاء لمجموعة من المهاجمين استعداد للاجتياز، ولكن الثغرات وجدت مسدودة في صباح اليوم التالي و استمرت عملية فتح الثغرات و سدها باستمرار[25] . ولما اسرعت عناصر كتيبة تلمسان للدخول منها بتاريخ 8 جوان ، وجدوها مسدودة من الداخل و محمية بعناصر مراقبة . نتج عن هذا الهجوم خسارة كبيرة لقوات الأميرعبد القادر ، اذ مات 80 وجرح 185 مقاتلا [26].

كان روش يعلم أن الأمير سوف ينتصر في هذه المعركة لا محالة و يتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا ، فعمل على اضعاف قوته و طلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة لعلمه أن معظمهم

يبغضه . فلم يظهر لهم روش ذلك و لكنه عمل على تبذير الذخيرة و تركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه بدل أن يراقب ذلك بكل دقة .

ولم يكتف بهذه العملية التخريبية بل تعدّاها الى مراقبة الفارين الأجانب الذين أخلصوا العمل للأمير .فأمرايزدورقائد سلاح مدفعية الأمير بذلك ، وطلب من الأمير أن يلحقه بفرقة الكراغلة ليكون تحت مراقبته المباشرة ، ولولا الذخيرة التى وصلت الى الأميرمن المغرب و الامدادات التى أرسلها له" الماريشال فاليه " طبقا لنصوص معاهدة التافنة لانهزم فعلا بسبب ضعف قواته ونفاذ ذخيرته [27]، حيث منحه الفرنسيون ثلاث مدافع [28].

و في الخامس عشر من جوان تحدى الأمير خصمه التيجني أن يخرج لمبارزته أمام الجيشين اللذين يشهدان هذا اللقاء ، و اقترح عليه بأن مصير عين ماضي يتوقف على نتيجة المبارزة و لكن التيجني بالرغم من فتوته و شجاعته فضّل الحذر و رفض اللقاء.

و استمر حصار الأميرللمدينة ستة أشهر وفي هذه المرحلة كان سكان عين ماضي يتزودون بالمؤونة من مخازن القمح و الشعير الصغيرة التى لا تكاد تؤمن لهم قوت يومهم .

أما الأميرعبد القادر فقد كان يعتمد في تموينه على القوافل التى تصله من الشمال و لكن حتى هذه القوافل كانت معرضة لهجمات قطاع الطرق والمغيرين و لذلك كان أكثر من 2000 فارس يحمونها باستمرار أثناء مرورها في الصحراء [29].

7. موقف أولاد نايل من الحملة:

ارتبط الأمير عبدالقادر بقبائل أولاد نايل سنة 1836 ،حيث راسل أعيان ووجهاء المنطقة من أولاد سعد بن سالم، وأولاد الغويني، وأولاد سي أحمد ،عن طريق سي الشريف بن الأحرش[30] ، وتم مبايعته سنة 1837 بمنطقة الكرمونية (عين معبد)، والتمس فيهم الأميرالكرم والنية والأخلاق والنبل ، ويعود سبب تركيزه وتزكيته لهذه القبائل نظرا لما تمتلكه من ثراء وكثرة عدد فرسانها و شجاعتهم في الحروب وجودة خيولهم المدربة على الفروسية[31] ، وقام بتقسيم هذه القبائل الى ستة فرق كل واحدة يحكمها شيخ (قائد) تحت امرة سي عبد السلام بن القندوز من أولاد الغويني كما هو موضح في الجدول التالي [32]:

العـــرش	القـــائد

- أولاد عيسى و أم الاخوة	- محمد بن الزبدة
- أولاد ضياء	- محمد بن عطية
- أولاد سي أحمد	- التلي بلكحل
- أولاد أم هاني	- الشيخ الحرّان
- أولاد سعد بن سالم	- الشيخ ابن البوهالي
- أولاد الغويني	- الطاهر بن المير

وقد وجد الأمير في قبائل أولاد نايل النصرة والدعم لمقاومته فقد استطاع سي الشريف بن الأحرش اقناع القبائل بضرورة الدعم المطلق للأمير،ففي أوت 1837 تنازل الشيخ سي عبد السلام بن القندوز عن خلافة الأمير في المنطقة لابن أخيه سي الشريف بن الأحرش نظرا لكبر سنه ،وقد قام بتزكيته بعدما التمس فيه النبل والشجاعة والدهاء والحنكة[33] .

وممّا تجدر الاشارة اليه أنّ الأميرقرّب سي الشريف بن الأحرش منه ووثق فيه ،حيث رافقه في بعض معاركه وسافر معه الى المغرب لجلب الأسلحة وزوّجه هو وابن عمه سي محمد بن عبد السلام بجاريتين اسبانيتين القى عليهما الأمير القبض في منطقة الغزوات بتلمسان، احداهما تسمى " مادالينا أوليس " تزوجها سي الشريف بن الأحرش وأسلمت وغيرت اسمها الى" فاطمة العلجة " (المكناة الشهبة مولات السالف الطويل) أنجب منها طفل واحد سمي محمد،أما الأخرى فتزوجها ابن عمه وسميت " عزوزة "[34].

وقد لقي الأمير في حصاره لعين ماضي العون من طرف قبائل أولاد نايل حيث رافقه التلي بلكحل في الحصارنيابة عن سي الشريف بن الأحرش على رأس فرسان أولاد نايل ودعموه بالمؤونة والخيول والرجال وظل ملازما اياه اذ كان مكلفا بجهاز حماية الأمير كلما حل بالمنطقة[35].

8- المفاوضات و نتائج الحملة :

في السابع عشر نوفمبر 1838 وقعت معاهدة بينه و بين خليفته مصطفى بن التهامي و بمقتضى هذه المعاهدة تعهد التيجني بمايلي :

* الجلاء من عين ماضي خلال ثمانية أيام.
* ان يذهب مع عائلته و اتباعه المقربين الى الأغواط.

* بقاء ابنه الاكبررهينة في يد السلطان.
* أن يتراجع الأمير مسافة 30 كلم عن الواحة ليترك مجالا لمرابطيها بالرحيل[36]

و عندما انتهت المدة دمّر الأمير البساتين كلها ، و أرسلت له قبيلتان من "بني عرّاش" كانتا بالقرب من المدينة العشور و الزكاة في الحال الى الأمير و لكن بقية القبائل ظلت على رفضها لسلطة الأمير عبد القادر[37].

ولما فرغ الأمير من فتحه لمدينة عين ماضي رجع الى معسكر وأقام بها عدّة أسابيع ثم رجع بجيش قوامه 5 آلاف جندي استغرق أربعة أيام للوصول الى الأغواط من أجل تأديب بعض القبائل التي امتنعت عن أداء الزكاة والعشوروقد بلغ عدد خيامهم 10 آلاف خيمة ، حيث فاجئهم بجيشه وساقهم كقطعان الأغنام وحاصرهم من كل جهة[38]

وقد أجبرت هذه قبائل على دفع مؤخرات خمس سنوات حالا وفي عين المكان من العشور و الزكاة و تقديم مساعدات للأمير تقدر ب4.000 بعير و 30.000 رأس من الغنم و ذلك بعد أن أخضعهم عنوة ، حيث تعهدت القبائل باخلاصها للأمير مستقبلا و اتباعه[39]

و تمخّض عن هذا الفتح ازدياد مكانة ليون روش لدى الأمير فبعدما أن فتح مدينة عين ماضي منحه الأمير وسام " الريشة" اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله خلال المعركة و بذلك لم يتفطن للدور السلبي الذي قام به روش خلال هذه الحملة[40] ، كما نال هذا الانتصار شهرة واسعة في القبائل و زاد من هيبة الأمير اذ بايعته الكثير من القبائل التى كانت خارجة عن سلطته ، اذ تغنّى الكثير من الشعراء بهذا النصر و من أبرزهم أحد شعراء مدينة مليانة[41] .

الخـــاتمة :

ممّا سبق ذكره نخلص الى أنّ مقاومة الأمير عبد القادر جاءت في مرحلة صعبة جدا ميّزها توسع الاستعمار الفرنسي في مناطق مختلفة من الوطن وضعف المقاومة المحلية وتفرقها وعدم مواكبتها ومكافئتها للجيوش الفرنسية حديثة التسليح.

برز الأمير عبد القادر كقائد فذ وتزعم حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ، الاّ أنه اصطدم بتمرد قبائل بني عرّاش والتجانيين في مدينة عين ماضي بالأغواط في الجنوب الجزائري لرفضها دفع ما عليها من زكوات وامتناعها عن تقديم المساعدة له وتخلّفها عن ركب المقاومة الوطنية.

يضاف الى ذّلك كله اكتشافه لتواطئها مع المستعمر الفرنسي ضده، خاصة وأنّ هذه القبائل التي يتزعمها التجانيون كان يرى مشائخها في الأمير منافسا لهم في أحقيّة وشرعية الحكم وكانوا يرون أنهم بمنأى واستقلالية عن سلطة الأمير نظرا للبعد الجغرافي الفاصل بينهم وبينه.

قام الأمير بحملته العسكرية على مدينة عين ماضي بعد أن أتمّ ترتيباته وتحضيراته العسكرية اذ قام بنفي العناصر الكرغلية المناوئة له من المدية الى تاقدمت ، و استعان بدعم سي الشريف بن الأحرش و قبائل أولاد نايل التى دعمته بالفرسان و الأموال ، حيث قاد التلي بلكحل هذه الحملة معه و تولى مهمة حراسة الأمير ، واستغل معاهدة التافنة ليتفرغ للقضاء على التجانيين ،حيث انطلقت حملته من تاقدمت متكوّنة من الفرسان والمشاة والمدافع الحربية وحرسه الخاص واستمر سير الحملة عشرة أيام .

لقد لجأ الأمير كخطوة أولية الى التفاوض الدبلوماسي والسياسي مع التجانيين مستعينا في ذلك بليون روش لعله يفلح في اقناعهم واقناع قبائل بني عرّاش بالاستسلام وتسليم المدينة له دون اللجوء الى استعمال العنوة والقوة.الاّ أن وساطة ليون روش أذكت الأحقاد وعمقت الهوة ووسعت الخلاف بين الطرفين نتيجة دسائسه وخبثه.

بعد فشل الواسطة أجبر الأمير على تبني الخيار العسكري كضرورة ملحّة أملتها عليه الظروف المحيطة أنذاك،ووضع خطة حربية لاقتحام المدينة تمثلت معالمها الرئيسة في تقسيم جيشه الى أربعة فرق قتالية وأوكل الى ثلاث فرق منها محاصرة السور ،أما الرابعة فكانت تحت امرته لاحتلال البساتين.

وكجزء من الخطة الحربية أمر الأمير بقطع الأشجار لتسهيل عملية مراقبة المدينة ووضع المدافع في أماكنها لقصف المدينة واستعان في ذلك بالمهندس الأوروبي ابن الكسكسة ، وانتهج الأمير سياسة الحصار والتطويق العسكري والاقتصادي لمدة ستة أشهر، كشكل من أشكال اضعاف الخصم . الأمر الذي حقق النتائج المرجوة منه بالفعل ،حيث استسلم التيجاني وسلّم نفسه بعدما فشلت سياسته الدفاعية ونفذت المؤونة منه .

حاول التيجاني بيأس أن يحصل على بعض المكاسب والتنازلات من طرف الأمير.الاّ أنه في النهاية أملى شروطه عليه واستطاع الاستيلاء على مدينة عين ماضي وطرد التيجاني ونفاه خارجها ،وبذلك حقّق نصرا مؤزرا وانصاعت له القبائل ،الأمر الذي زاد من هيبة الأمير وسمعته لدى القبائل والفرنسيين.

قائمـــة الملاحق :

الملحق الأول : حملة الأميرعلى وهران والتيطري و الصحراء

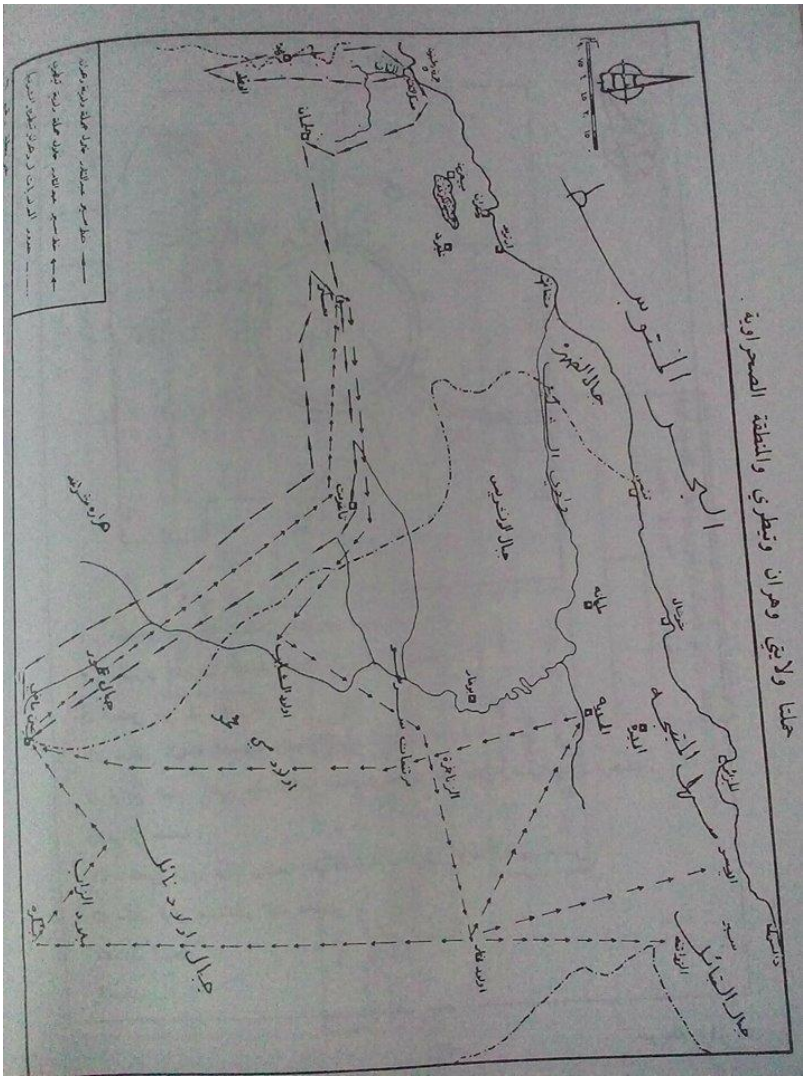

أديب حرب : **التاريخ العسكري و الاداري للأمير عبد القادر** ، ج 2 ، ط 2 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2004 ، ص : 38

الملحق الثاني : واحة عين ماضي

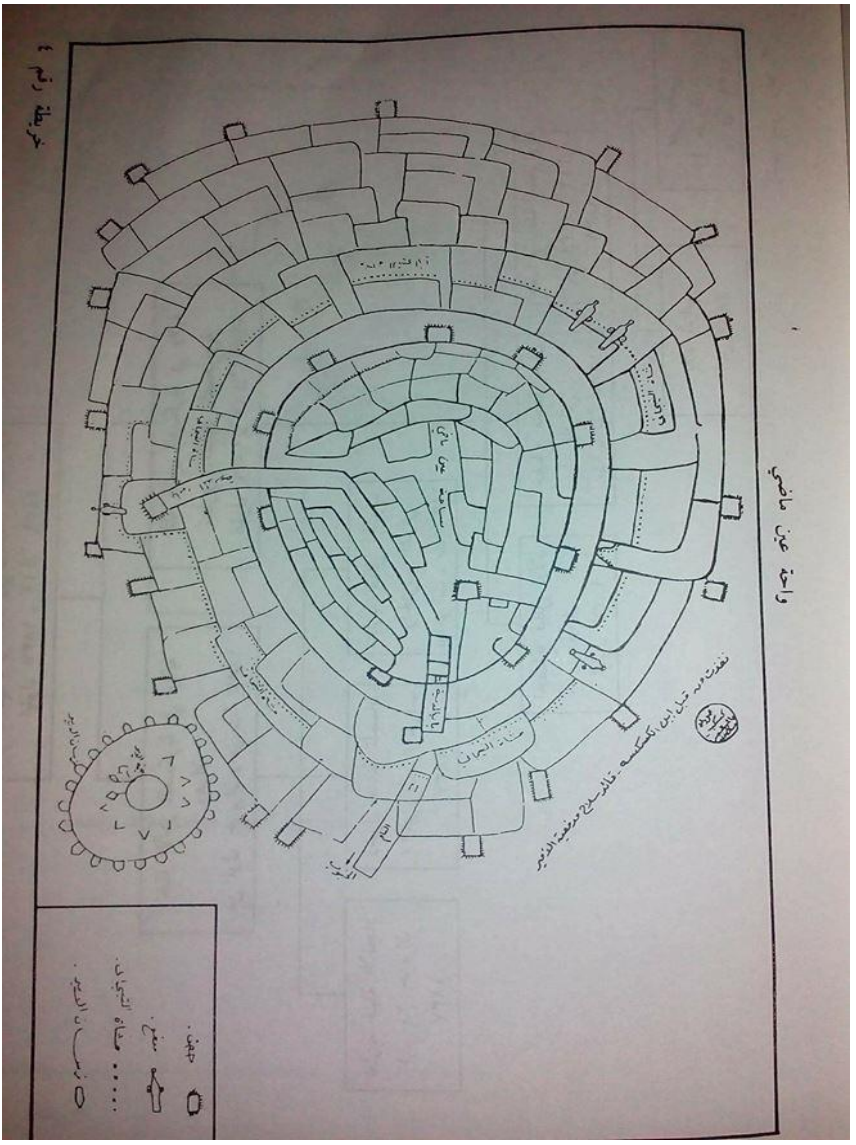

أديب حرب : **التاريخ العسكري و الاداري للأمير عبد القادر** ، ج 2 ، ط 2 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2004 ، ص :**35**

الملحق الثالث : حصار الأمير لعين ماضي

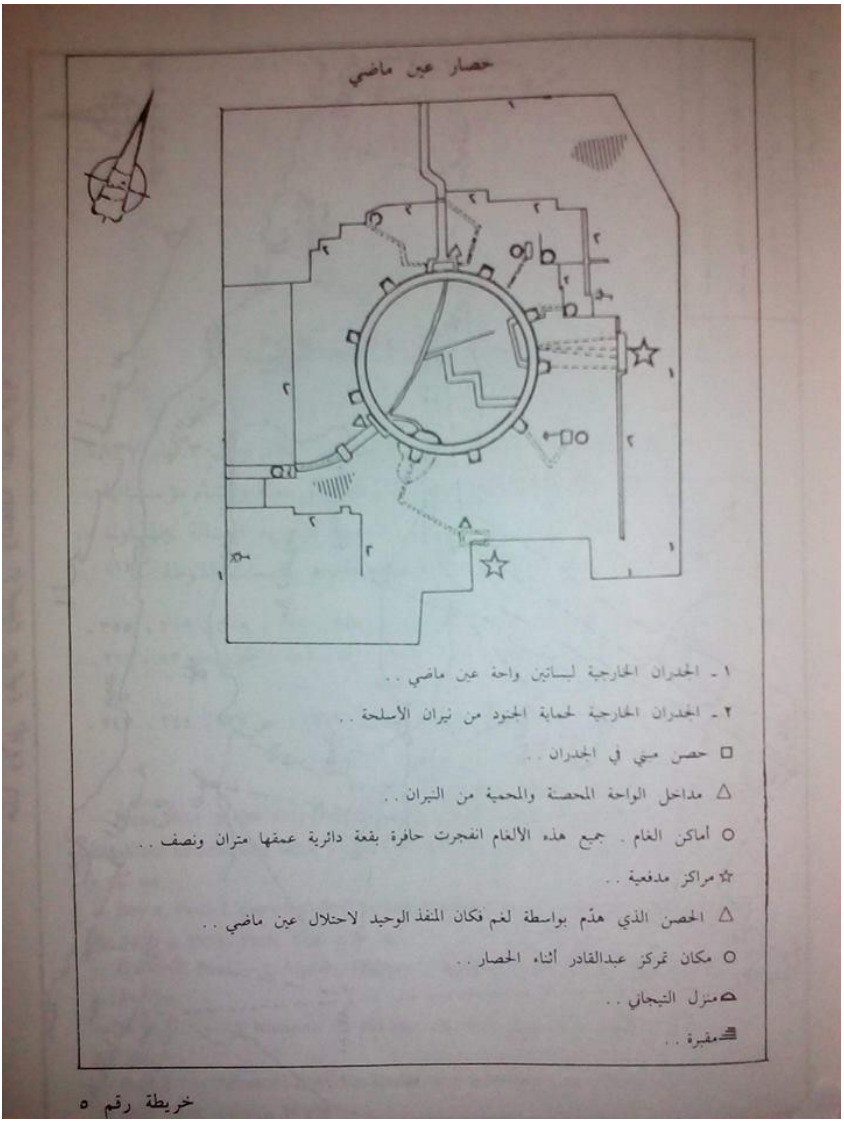

خريطة رقم ٥

أديب حرب : **التاريخ العسكري و الاداري للأمير عبد القادر** ، ج 2 ، ط 2 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2004 ، ص : **37**

الملحق الرابع : سي الشريف بن الأحرش 1803 –1864

(المصدر) : الجلفة انفو ، 28 أفريل 2016

الملحق الخامس : أبيات شعرية لأحد شعراء مدينة ملیانة تمجّد فتح الأمير لعين ماضي .

ايا نسمة الاسحار طبت بصولة * وطابت بك الاكوان طرًا بسرعة
وآب سرور الدهر مذ طاب نشرها * ونادى منادي النصر من كل وجهة
واقبلت البشرى وعم سرورها * ونالت به الايام احسن سطوة
بطلعة عبد القادر السيد الذي * له الشرف السامي باشرف نسبة
هو البدر وافى في سماء كماله * بمحو ظلام حل قدمًا ببلدة
نعن عين ماضي قد ازاح غشاوة * ففاءت وعادت خير عين بصيرة
فويل لمن عادى ابن اكرم مرسل * وويل لمن يدعون اصحاب ذمة
هنيئًا لنا اهل المحبة اننا * بذا البدر نلنا اليوم اكمل منية
بسعي امير دمر الطاغين مذ * جرى عدله في كل مصر وقرية
فنطلب من رب السماء بقاءه * لنطرب اياما باحسن دولة
عليه سلام الله ما هبت الصبا * وما اشرقت شمس العلا كل لحظة

تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ،ج1 ، المطبعة التجارية عرزوزي و جاويش ، الاسكندرية ، 1903 ، ص : 198

الهوامش والاحالات:

1 – أديب حرب : **التاريخ العسكري و الاداري للأمير عبد القادر** ، ج 2 ، ط 2 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2004 ، ص :24 .

2 – **مذكرات الأمير عبد القادر** : تحقيق محمد الصغير بناني و آخرون ، دار الأمة ، د س ، ص : 112 .

3 – أديب حرب : **المرجع السابق** ، ص ص : 26 – 27 .

4 – شارلز هنري تشرشل : **حياة الأمير عبد القادر** ، تر : أبو القاسم سعد الله ' عالم المعرفة ، دار الرائد ، الجزائر ، 2009 ، ص :172 .

5-DU GRAMMONT (H),**Histoire d'Alger sous la domination turque (1515–1830)** ,edition , F LAROUX ,PARIS,1887,P 114.

6 – ابن هطال التلمساني : **رحلة محمد الكبير الى جنوب الصحراوي** ،تح : محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، د م ، د ت ، ص : 68 .

7 – عبد الرحمان الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** ، ج 2 ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ص :336 .

8 – أحمد شريف الزهار : **مذكرات نقيب الأشراف** ،ط2 ، تح : أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ص : 160 .

9 – أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1** ، ط 1 ، دار البصائر، الجزائر ، 2007 ،ص : 139 .

10 – **محمد الصغير بن سالم التيجاني** :أصل التيجاني من اشراف المغرب . انتقل والده السيد أحمد في آخر المائتين بعد الألف من فاس الى بني توجين أصحاب تاهرت و تاكدمت من البربر ، اخوان بني زينان ملوك تلمسان ، و بني مرين ملوك المغرب الأقصى . و لما طال مقامه بينهم أظهر بني توجين نسبه اليهم فقيل له : التجيني و كان حصن عين ماضي موضع سكناه . و كان عالما زاهدا مشتهرا بالاصلاح . و له تأليف سمّاه الكناش ذكر فيه آدابا صوفية و حقائق الاهية . وثار ولده محمد الأكبر على الحكومة وزحف بمجموعة على مدينة معسكر و دخلها . فخرج اليه حاكم وهران و قتله ، **أنظر** :يحي بوعزيز :**الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري** ،الدار العربية للكتاب و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس ، 1981 ، ص :43 .

11-DU GRAMMONT : OP CIT , P :117.

12 – أديب حرب : : **المرجع السابق** ، ص ص : 30–31 .

13 – **ماريشال فاليه** : أحد قادة الجيش الفرنسي ومن الحكام المدنيين في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1837 –1841 كانت له مراسلات مع شيوخ الطريقة التيجانية خلفه الجنرال بيجو ، **انظر** : مصطفى عبيد : **جرائم التنظيم و الممارسة في الفعل الاستعماري بالجزائر** ،مجلة البحوث التاريخية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، ص : 10 ، **انظر كذلك** : أبو القاسم سعد الله : **المرجع السابق** ،ص ص : 198 –199 .

14 – أبو القاسم سعد الله : **المرجع السابق** ،ص ص : 198 –201 .

15-LOUIS RINN :**Marabouts et Khouanes** ,Etude sur l'slam en ALgérie Adolphe jourdan libraire éditeur ,alger ,1884 , p :423-425 .

16 – تاقدمت : احدى بلديات دائرة مشرع الصفاء بتيارت بالغرب الجزائري

17 – يحي بوعزيز : **المرجع السابق** ،ص ص : 301 –304 .

18 – أديب حرب : : **المرجع السابق** ،ص : 27 .

19 – شارلز هنري تشرشل : **مصدر سابق** ،ص : 173 .

20 – **ليون روش** Léon Roches : سبتمبر 1890 1901 ولد في مدينة غرونوبل الفرنسية ،كان سفير و ممثل للحكومة الفرنسية في اليابان 1864 –1868 غادر ليون فرنسا في 30 جوان 1832 للانضمام الى والده الذي حصل على مزرعة في الجزائر. تعلم ليون اللغة العربية بسرعة كبيرة و بعد عامين تم تجنيده كمترجم للجيش الفرنسي ثم أصبح في سلاح

الفرسان طلب منه بيجو التفاوض مع الأمير عبد القادر لوقف القتال مع الفرنسيين ' وقد حضي باحترام من قبل مشايخ العرب ،**انظر** :يوسف مناصرية :**مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب** ،المؤسسة الوطنية ، الجزائر ، ص ص : 13 – 15 .

21 – أديب حرب :**مرجع سابق** ،ص ص : 28 –29 .

22 – يوسف مناصرية :**المرجع السابق** ، ص ص : 29 –31.

23- LOUIS RINN : OP CIT , P :428.

24 – أديب حرب :**مرجع سابق** ،ص : 29 .

25 – شارلز هنري تشرشل : **المصدر السابق** ، ص ص: 173 –174 .

26 – أديب حرب :**مرجع سابق** ،ص :29 .

27– يوسف مناصرية :**المرجع السابق** ، ص ص : 30 –31 .

28 – شارلز هنري تشرشل : **مصدر سابق** ،ص : 174.

29 – نفـــسه ، ص ص : 174 – 175 .

30 – **سي الشريف بن الأحرش** : هو من عرش أولاد الغويني النائلي ولد جوان 1803 بزاغز الغربي ، درس بالزاوية الرحمانية بأولاد الجلال حكم باسم الأمير في المنطقة منذ 1837 حكم مدة 15 سنة ، سجن في المدية ببوغار ثم وضع تحت الاقامة الجبرية سنة1850 الى غاية وفاته 1864 ، **انظر** : أبو محمد سعيد هرماس : **من فضلاء منطقة الجلفة من 1861 الى مطلع القرن الحادي و العشرين** ،ط2 ، دار مداد للنشر و التوزيع ، غرداية ، الجزائر ، 2012 ، ص ص : 40 –42 .

31– أحمد خير الدين : **حجر الملح حياة الكاتب محمد بن الشريف** ، متيحة للطباعة ، الجزائر ،جوان 2009 ، ص :17 .

32 – عبد الباقي هزرشي و آخرون : **أولاد نايل و الأمير عبد القادر** ،مجلة حضور ثقافي ، ع 1 ، مطبعة الجاحظية ، الجزائر ، ص : 42 .

33 – نفـــسه ، ص : 50 .

34 – خير الدين : **المرجع السابق** ، ص : 16 .

35 – عبد الباقي هزرشي و آخرون : **المرجع السابق** ، ص ص : 42 –43 .

36 – شارلز هنري تشرشل : **المصدر السابق** ، ص ص:174 –175 .

37- LOUIS RINN : OP CIT , P :429 .

38– **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر** ،ج1 ، المطبعة التجارية عرزوزي و جاويش ، الاسكندرية ، 1903 ، ص ص: 198 – 199 .

39– شارلز هنري تشرشل : **المصدر السابق** ، ص : 175 ، 178 ، **انظر ايضا : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر** ،ص : 199 .

40– يوسف مناصرية :**المرجع السابق** ، ص : 31

41 – قصيدة لأحد شعراء مليانة يمجد فيها النصر الذي حققه الأمير بفتحه لحصن عين ماضي الذي عجز عن فتحه من قبله ، **انظر : تحفة الزائر : المصدر السابق ، ص : 198** .